مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي وفكره

تَصْدُرُ عَنْ

الأمانَة العامَّة للعَتَبة الْحُسَيْنيَّة الْمُقَدَّسَة

مُؤسَّسة عُلوم نَهج البَلاغَة

مُجازَةٌ من وِزارَةِ التَّعْليمِ العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السّنة الثانية- العدد الثالث

رَجَب/١٤٣٨هـ- نِيسَان/ ٢٠١٧م

شَرْحُ الخُطْبَةِ الشِّقْشِقِيَّةِ لِلشَّرِيفِ المُرْتضىٰ،
قِرَاءَةٌ فِي مُسْتَوَيَاتِ تَحْلِيلِ النَّصِّ الأَدَبِيِّ

م. م. أحمد جاسم ثاني

قسم اللغة العربية

كلية التربية– القرنة

جامعة البصرة

Explication of Shaqshaqeia Sermon of Al-Shareef Al-Martadha
(Reading on the Levels of Explication)

Asst. Lectu. Ahammed Jasim Thani

Department of Arabic

College of Education, Al-Qyrna,

University of Basra

ملخص البحث

وقع الاختيار على دراسة أثر من آثار السيد المرتضى الذي ورد في الجزء الثاني من رسائله، وهو (شرح الخطبة الشقشقية) لأمير المؤمنين (عليه السلام). ولمّا كان شرح الخطبة يعني تحليلاً لمكوناتها اللغوية والفكرية، فقد جاء عنوان البحث (شرح الخطبة الشقشقية للشريف المرتضى، قراءة في مستويات تحليل النص الأدبي)، فضلاً عن ذلك فإن الخطبة الشقشقية- كغيرها من خطب الإمام علي (عليه السلام)- اشتملت على عناصر النص الأدبي من أفكار وعواطف وصور ودلالات.

من أجل ذلك وقفنا عند مصطلح (تحليل النص الأدبي)، ومصطلح (الخطبة) بوصفها نوعاً من النصوص الأدبية، والبناء الذي تقوم عليه، وكذلك التعريف المختصر بثقافة شارح الخطبة وهو السيد المرتضى، وبعدها تم قَسَّمْنا شرحه للخطبة على مستويات التحليل النصي المعروفة، وهي المستوى الصوتي، والمستوى المعجمي، فضلاً عن التطرق إلى المستوى البلاغي؛ لأن الشرح اشتمل على الكشف عن بعض الصور البلاغية، كما وجدنا أن المرتضى قد أفاد من السياق التاريخي للخطبة، ثم جاءت الخاتمة لتبين نتيجة ما أفضى إليه البحث.

Abstract

It is chosen to focus on the importance of Seid. Mutadhadha mentioned in part two of his message; the explanation of Al-Shaqshaqia sermon of the commander of the believers (Peace be upon him) that it is why the paper comes as entitled Explication of Shaqshaqeia Sermon of Al-Shareef Al-Martadha, moreover, the sermon covers the main factors of the literary text; human passions, imagery and semantics .As such it is to ponder over the concepts of criticism and explication, the term Al-Khutba is a genre and the pioneer of explication of it is Seid. Al-Murtadha and the paper categorizes the sermon into certain levels; phonology, lexicography and eloquence, as the explication takes hold of eloquent images and the historical scope of the sermon itself, then the paper terminates at the conclusion.

المقدمة

وقع الاختيار على دراسة أثر من آثار السيد المرتضى الذي ورد في الجزء الثاني من رسائله، وهو (شرح الخطبة الشقشقية) لأمير المؤمنين (عليه السلام).

ولمّا كان شرح الخطبة يعني تحليلاً لمكوناتها اللغوية والفكرية، فقد جاء عنوان البحث (شرح الخطبة الشقشقية للشريف المرتضى، قراءة في مستويات تحليل النص الأدبي)، فضلاً عن ذلك فإن الخطبة الشقشقية- كغيرها من خطب الإمام علي (عليه السلام)- اشتملت على عناصر النص الأدبي من أفكار وعواطف وصور ودلالات وهنا يستحضرنا قول الدكتور محمود البستاني (رحمه الله): (لا نبالغ إذا قلنا إنّ التتاج الصادر عن الإمام علي (عليه السلام) يُعد أفضل نتاج خبره التأريخ (فنياً، ودلالياً).

وعندما نقرر هذا الكلام فلأننا- مضافاً إلى ما استنطقنا من النصوص المأثورة عنه- نعتمد كلام النبي (صلى الله عليه وآله)- وهو لا ينطق عن الهوى- في وثيقته المعروفة القائلة: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[١].

من أجل ذلك وقفنا عند مصطلح (تحليل النص الأدبي)، ومصطلح (الخطبة) بوصفها نوعاً من النصوص الأدبية، والبناء الذي تقوم عليه، وكذلك التعريف المختصر بثقافة شارح الخطبة وهو السيد المرتضى، وبعدها تم تقسيم شرحه للخطبة على مستويات التحليل النصي المعروفة، وهي المستوى الصوتي، والمستوى المعجمي، فضلاً عن التطرق إلى المستوى البلاغي؛ لأن الشرح اشتمل على الكشف عن بعض الصور البلاغية، كما وجدنا أن المرتضى قد أفاد من السياق التاريخي للخطبة، ثم جاءت الخاتمة لتبين نتيجة ما أفضى إليه البحث. ومن الله تعالى وحده نستمد العون، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

تحليل النص الأدبي
وقفة مع المصطلح

(١) **التحليل**: يدل على التفكيك، ومنه تحليل الجملة، بمعنى: بيان أجزائها ووظيفة كل منها[٢]، وتحليل النص الأدبي، بمعنى: شرحه وتفسيره، وبيان أفكاره ودلالته ومعانيه[٣].

(٣) **النص**: فهو ((صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف، وجمعها نصوص. وحين نقول: نصُّ الحديث كذا، نقصد متنه دون سلسلة

السند، وحين نقول: نصٌّ شعري، نقصد القصيدة كلها أو أي جزء منها يعطي فكرة تامة، وكذلك الحال في قولنا نص نثري؛ إذ قد يكون النص من كتب التاريخ القديمة أو من الخطب أو من الأمثال إلخ، وعليه يكون مفهوم النص كلام المؤلف دون تحديد نوعه كأن يكون شعراً أو خطبة أو رسالة أو شرحاً أو قصة إلخ))[٤].

وإذا حدّدنا كلمة النص بمفهوم ثانٍ وقلنا: (النص الأدبي)، عندها يكون النص مقصوراً على الأدب بمفهومه الخاص دون غيره[٥].

(٣) النص الأدبي: هو بنية ذات مستويات وطبقات قابلة للتأمل والشرح والتفسير والتأويل[٦].

نستنتج من ذلك أن تحليل النص الأدبي: هو شرح أو تفسير للنص الأدبي، والكشف عن مضامينه، وبيان دلالاته ومعانيه، وذلك بدراسة جوانبه الصوتية والتركيبية والمعجمية والسياقية والبلاغية وغيرها.

لقد كان النص الأدبي منذ القدم محل اهتمام فروع معرفية عدة، كالبلاغة وفقه اللغة والانثروبولوجيا وغيرها، واهتم كل فرع بجهة معينة من النص وفقاً لما تقتضيه غاياته وأهدافه، وعليه فإن دراسة النص الأدبي لم تكن مقصودة لذاتها، ومن أجل إبراز خصوصياته وكيفية اشتغاله، بقدر ما كانت تهدف إلى خدمة تلك العلوم، كتدعيم قاعدة نحوية أو استدلال على ظاهرة لغوية أو اجتماعية، إلى أن حل القرن العشرون فبدأت تبرز على الساحة الأدبية والنقدية محاولات كرّس فيها أصحابها كل جهودهم لمحاولة فهم الظاهرة الأدبية، كالجهود التي بذلها الشكلانيون، والتيارات الداعمة لها كالبنيوية والسيميائية وغيرهما، مما أفضى إلى استقرار النص كمفهوم أساسي في الدراسات الأدبية[٧].

وقد تعددت مناهج تحليل النص، فاشتهر من بينها (المنهج الإحصائي)، الذي يُعد من أكثر المناهج التحليلية ارتباطاً بالنص للأبعاد التفسيرية التي توفرها مكوناته، وفي ضوء هذا المنهج يكون التحليل والبحث في مستويات لغوية مختلفة، فيتدرج من المستوى الصوتي فالصرفي فالتركيبي فالمعجمي فالدلالي[٨].

فن الخطبة

الخطبة: ((شكلٌ يعتمد (العنصر العاطفي) في أداته التعبيريّة: نظراً

للطبيعة التي تنطوي عليها وظيفة الخطبة. إنها كلمة ارتجاليّة أو مكتوبة تُلقى على (حشد) خاص أو عام يُفْتَرض فيها أنْ تستثير الجمهور وتجعلهم (منفعلين) بشدّة الموقف الذي يستهدفه الخطيب: كالحث على الجهاد مثلاً))[٩].

ويخضع بناء الخطبة لما يأتي[١٠]:

(١) **من حيث اللغة**: ينبغي أن يستعمل الخطيب ضمير المخاطب تارةً، وينتقل إلى ضمير المتكلّم تارةً أخرى؛ لأن الخطيب- وهو متكلّم- يمكنه أن يحوّل عواطف المخاطبين إلى عواطف مشتركة بينه وبينهم.

(٢) **من حيث الإيقاع (الصوت)**: ينبغي اختيار الألفاظ والتراكيب المتّسمة بالفخامة والدويّ والصخب ونحوها من العبارات المثيرة.

(٣) **من حيث الصور**: ينبغي التقليل من العنصر الصوري إلا في حالات نادرة يتطلبها السياق، وحينئذٍ عليه أن يختار الصورة المألوفة ويبتعد عن الصور الغامضة.

(٤) **من حيث البناء**: ينبغي أن يتدرّج بعواطف الجمهور، فينتخب من المواقف ما يُهيّئ أولاً جواً تمهيدياً مناسباً للانفعال، ثم يتصاعد تدريجياً إلى المواقف الأخرى حتى ينتهي إلى قمّة الإثارة العاطفية.

(٥) **من حيث الحجم**: لابد أن يكون حجمها محدوداً، لتحتفظ بحرارة الإثارة العاطفية.

نص الخطبة الشقشقية

وهي الخطبة الثالثة من خطب نهج البلاغة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وسمِّيت بهذا الاسم؛ لأن الإمام (عليه السلام) وصفها في آخر كلامه بأنها شِقشِقة هدرت ثم قرّت[١١]، وتُسمى أيضاً بالخطبة المُقمّصة[١٢].

ونص الخطبة هو: «أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابن أبي قحافة، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلاَ يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طِخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ.

وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى، وَفِي الْحَلْقِ شَجاً، أَرَى تُرَاثِي نَهْباً، حَتَّى مَضَى الأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى ابْنِ الْخَطَّابِ بَعْدَهُ (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الأَعْشَى):

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا
وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ، إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا، فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةِ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، وَالاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ- لَعَمْرُ اللهِ- بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ، وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ.

فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ، حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ. جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَا للهِ وَلِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ، لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا. فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ، مَعَ هِنٍ وَهَنٍ إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ اللهِ خَضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ، فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ، نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلاَمَ اللهِ حَيْثُ يَقُولُ:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بَلَى وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا. أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لاَ يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلاَ سَغَبِ مَظْلُومٍ، لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا، وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ.

(قالوا): وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ، عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ، فَنَاوَلَهُ كِتَاباً فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ. قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا): «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ أَطْرَدْتَ خُطْبَتَكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ».

فَقَالَ: «هَيْهَاتَ يَابْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ». قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَوَاللهِ مَا أَسِفْتُ عَلَى كَلاَمٍ قَطُّ كَأَسَفِي عَلَى هَذَا الْكَلاَمِ أَنْ لاَ يَكُونَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام)

بَلَـغَ مِنْـهُ حَيْـثُ أَرَادَ»[١٣].

ثقافة الشريف المرتضى

يُعـد السـيد عـلي بـن الحسـين الموسـوي المعـروف بالشريـف المرتـضى (٣٥٥-٤٣٦ هـ) مـن أعـلام الفقـه والأصـول والتفسـير والـكلام، ومـن أبـرز مـن نبـغ في علـوم العربيـة والنقـد والأدب ورواية الشعر وأخبار العرب ويـكاد يجمـع المؤرخـون عـلى الإشـادة بذكـره وبـما كان يتمتـع بـه مـن جـلال الشـخصية وتعـدد المواهـب والشـهرة وعلـو المكانـة بـين علـماء زمانـه وأدبـاء عـصره[١٤]؛ لذلـك آثرنـا أن نـترك الحديـث عـن حياتـه ونسـبه ومؤلفاتـه؛ لأنـه أشـهر مـن نـارٍ عـلى عَلَـم، ولكثـرة الدراسـات التفصيليـة التـي تناولـت حياتـه، ومـن أبرزهـا وأشـملها وأوفاها دراسـة الدكتـور أحمـد محمـد المعتـوق الموسـومة بـ (الشريـف المرتـضى، حياتـه، ثقافتـه، أدبـه ونقـده).

وقـد امتـاز الشريـف المرتـضى بثقافـة أدبيـة واسـعة، ولـه آثـار كثـيرة في مجـال اللغـة والأدب والشـعر والنقـد وغـيره، إلا أن شـهرته في مجـال الفقـه والأصـول والعقائـد وعلـم الـكلام كانـت سـبباً في صرف الأنظـار عـن تلـك الآثـار إلى وقـت قريـب[١٥].

وخلاصـة القـول ((وبعيـداً عـما قيـل في حـق المرتـضى، ومـا ذكـر مـن الإشـادة بفضلـه وعلمـه وثقافتـه مـن قبـل تابعيـه وأهـل مذهبـه أو غيرهـم مـن معاصريـه وأهـل زمانـه، فـإن كل مـا أحـاط بـه وارتبـط بحياتـه وحيـاة عـصره يؤيـد مـا نُسـب إليـه مـن صفات العظمـة والفضـل))[١٦].

تحليل الخطبة الشقشقية

جـاء هـذا التحليـل بعنـوان (شرح الخطبـة الشقشـقية) ضمـن الجـزء الثـاني مـن كتـاب رسـائل الشريـف المرتـضى، ((والظاهـر أن هـذا الـشرح أول شروحهـا المسـتقلة، ويحتمـل أنـه أُلّـف قبـل صـدور "نهـج البلاغـة"))[١٧].

وقـد هـدف السـيد المرتـضى إلى توضيـح دلالات الخطبـة ومعانيهـا، فوقـف عنـد المفـردات الغامضـة والغريبـة وبـيّن معانيهـا المعجميـة والاسـتعمالية، وأشـار إلى بعـض الصـور البلاغيـة فيهـا، وقـد أفـاد أيضـاً مـن السـياق التاريخـي في شرح وتوضيـح بعـض جوانـب الخطبـة، أمـا الجانـب الصـوتي فلـم يذكـر المرتـضى سـوى مسـألة واحـدة، ممـا يـدل عـلى قلـة اهتمامـه بهـذا الجانـب، ويبـدو أنـه اكتفـى بعنـاصر التحليـل (المعجميـة والبلاغيـة)؛ لأنهـا قـادرة عـلى توضيـح المعـاني، وإظهـار جماليـات النـص،

لذلك لا نجد حضوراً للمستويين النحوي والصرفي في شرحه وتحليله.

وهذا لا يعني أنه لم يهتم بالجانب النحوي مطلقاً، ففي التفسير يعتمد كثيراً على القضايا النحوية في بيان دلالات النص القرآني؛ لأن الوجوه النحوية عنده تابعة للمعاني القرآنية، وتوجيهها يكون حسب تلك المعاني[١٨].

إن اللغة التي يستعملها المحلل اللغوي تختلف بالضرورة عن اللغة التي يستعملها مُنشِئ النص؛ فلغة المبدع فِطرية، وهي موضوع النص، بينما تعد لغة التحليل لغة علمية، وهذا لا يعني أن تكون لغة التحليل أضعف من اللغة المستعملة في النص، وإلا لا يعقل أن تكون لغة النص جزلة وتتمتع بقدر كبير من الفصاحة، ولغة التحليل ركيكة هشة[١٩].

ومن المعلوم أن زمن السيد المرتضى لم يشهد ظهور مناهج نقدية كما هي في الزمن المعاصر، وإنما جاء هذا الشرح منتظماً على وفق النسق الثقافي والحس اللغوي والأدبي الذي كان يتمتع به السيد الشريف، إلا أنه يكاد يقترب من المنهج الإحصائي الذي يتناول تحليل النص بمستوياته المتعددة. ولنقف عند كل مستوى من مستويات التحليل في هذه الخطبة، لنتبيّن جهد السيد المرتضى في شرحها وتحليلها:

(أولاً)المستوى الصوتي:

أشار المرتضى إلى ظاهرة صوتية واحدة، ولم يرد في تحليل الخطبة سواها، وذلك في تحليل قول الإمام (عليه السلام): «إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ اللهِ خَضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ»، فاستوقف عند الفعل (يخضمون) قائلاً: ((والخضم أقوى من القضم، وتعمل فيه الأشداق[٢٠]، ويكون في الأكثر للأشياء اللينة الرطبة. والقضم بمقاديم الإنسان، ويكون للأشياء اليابسة))[٢١].

وقد استوقفتني كلمة (أقوى) في نص الشارح؛ لأنها تناقض الكلام الذي بعدها، فإذا كان (الخضم) للأشياء اللينة الرطبة فكيف يكون أقوى من (القضم) الذي يكون للأشياء اليابسة؟! وهو ما قرره ابن جني[٢٢] من قبل في قوله: ((من ذلك قولهم: خضم، وقضم. فالخضم لأكل الرطب؛ كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب.

والقضم للصلب اليابس؛ نحو قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس؛ حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث))[٢٣].

وعند التأمل تجد أن ما ذهب إليه الشارح صحيح، فإن دلالة (خضم) أقوى من دلالة (قضم) في سياق الخطبة؛ وذلك لأن الإمام (عليه السلام) حينما قال: «يَخْضِمُونَ مَالَ اللهّ خَضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ» أراد منَ ذلك أن حقوق الله التي هي حقوق المسلمين وقد أكلها بنو أمية بالباطل هي غضة وفيرة، لذلك أتبعها بصورة استعارية جميلة: (خَضْمَةَ الإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ)، فنبت الربيع يتصفَ عادة بالطراوة والليونة والكثرة ، فناسب أن يعبر عن ذلك بالفعل (خضم) بدلاً من (قضم)، ومن هنا تتضح دقة التعبير في كلام الإمام علي (عليه السلام).

(ثانياً) المستوى المعجمي:

دأب الشريف المرتضى في شرح المفردات اللغوية على الرجوع لأشهر علماء اللغة والنحو في عصره، أمثال أحمد بن فارس، وأحمد بن محمد الجوهري صاحب الصحاح، ومحمد ابن القاسم بن الأنباري، وأبي حاتم السجستاني، وعبد الملك بن قريب الأصمعي، ويعقوب بن السكيت، وقطرب بن المستنير ولم يكن في ما أورده عن هؤلاء وغيرهم مجرد ناقل، وإنما كان ناقداً ممحصاً؛ لأنه يؤمن بضرورة اتخاذ المنهج العقلي المحص المتأمل في كل ما ينقل في تفسير الألفاظ وغيرها[٢٤].

وفي تحليله الخطبة الشقشقية الكثير من الدلالات المعجمية التي فسّرها وشرحها معتمداً على ثقافته اللغوية وحسه الأدبي، فتارة يكون الشرح للفظ مفرد، وأخرى يكون لعبارة مركبة، من ذلك مثلاً:

لفظتا (سدلت) و(كشحاً) في قوله (عليه السلام): «لكني سدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً»، وسدل في اللغة تأتي صفة للثوب، جاء في الصحاح: (سَدَلَ ثوبَهُ يَسْدُلُه بالضم سَدْلاً أي أرخاه)[٢٥]، والكشح لغةً: الخصر[٢٦]، ولم يخرج المرتضى عن هذه الدلالات في تحليله، إذ قال: ((فمعنى (سدلت) ألقيت بيني وبينها حجاباً، أي عزفت عنها وتنزهت عن طلبها وحجبت نفسي عن مرامها. وقوله (عليه السلام): (وطويت عنها كشحاً) نظير قوله: (وسدلت دونها

ثوباً) ومعنى الكلام: أنني أعرضت عنها وعدلت عن جهتها، ومن عدل عن جهة إلى غيرها فقد طوى كشحه عنها؛ لأن الكشح: الخاصرة))[٢٧].

لفظة (جذّاء) في قوله (عليه السلام): (بين أن أصول بيد جذّاء)، والجذّاء صفة لمؤنث وهي اليد؛ لأنها على وزن فَعْلاء مؤنث أَفْعَل، وهي من الجَذ، ((وجَدَّ الشيءَ يَجُدُّه جدّاً: قطعه))[٢٨]، يقول المرتضى: ((فإنما أراد: مقطوعة؛ لأن الجد: القطع، ويحتمل أيضاً أن يروى جذاء بالذال المعجمة؛ لأن الجذ أيضاً: القطع، والجذاء: المنقطعة. قال الطائي:

أبا جعفر أن الجهالة أمها ولود وأم العقل عقماء جذاء))[٢٩].

لفظة (الطخية) في قوله (عليه السلام): «أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طِخْيَةٍ عَمْيَاءَ»: ((فأما (الطخية) فهي الظلمة، وليلة طخياء أي مظلمة))[٣٠].

لفظة (الشجا) في قوله (عليه السلام): «فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى، وَفِي الْحَلْقِ شَجاً»: ((والشَّجا: ما اعْتَرَضَ فِي حَلْقِ الإِنسانِ والدابَّةِ من عَظْمٍ أَو عُودٍ أَو غيرهما))[٣١]. وفي التحليل: ((و(الشجا) ما اعترض في الحلق))[٣٢].

وقد يذكر المرتضى بعض لغات العرب في شرح الألفاظ، كما في لفظة (هاتا) في قول الإمام (عليه السلام): «فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى»: ((ف(هاتا) لغة تجري مجرى هاذي وهذه))[٣٣].

وكذلك لفظة (هَن) (فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ، مَعَ هِن وَهَن): ((وأما لفظة (هن) فإن العرب تستعملها في الأمور العظيمة الشديدة، يقولون: جرت هنة وهنات))[٣٤].

لفظة (التراث) في قوله (عليه السلام): (أَرَى تُرَاثِي نَهْباً): ((فأما التراث فهو الميراث، وليس كل شيء يملكه مالكه يسمى تراثاً، حتى يكون قد ورثه عن غيره.

وأراد (عليه السلام) (أرى تراثي نهباً) أي حقي من الإمامة وخلافة الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي ورثته عنه بنصه علي وإشارته إلي (نهباً) منقسماً ومتوزعاً متداولاً))[٣٥].

ويبدو أن هذا المعنى من السيد المرتضى؛ لأني تتبعت مادة (ورث) في المعاجم السابقة والمعاصرة له فلم أجد مثل هذه العبارة: (وليس كل شيء يملكه مالكه يسمى تراثاً، حتى يكون قد ورثه عن غيره) الواردة في شرحه.

ومن أمثلة العبارات المركبة التي شرحها: ((وقوله (عليه السلام): (كراكب الصعبة) التي ما ذللت وريضت بين خطتين، إن أرخى لها في الزمام توجهت به حيث شاءت بعسف وخبط. و(إن أشنق لها) بمعنى ضيق عليها المشناق (خرم) بمعنى خرم أنفها؛ لأن الزمام يكون متصلاً بالأنف، فإذا والى بين جذبه لإمساكه خرقه))[٣٦].

الألفاظ (خبط) و(شماس) و(تلوّن) و(اعتراض): في قوله (عليه السلام): «فَمُنِيَ النَّاسُ- لَعَمْرُ اللهِ- بِخَبْط وَشِمَاس، وَتَلَوُّن وَاعْتِرَاضَ»: ((و(الخبط) هو السير على غير جادة ومحجة، و(الشماس): النفار، و(التلون) التلفت والتبذل، وأما (الاعتراض) فهو هاهنا أيضاً ضربان: التلون والتغير وترك لزوم القصد والجادة، يقال: مشى للعرضة أي ترك القصد والمحجة وجادة الطريق وسار في عرضها عاسفاً خابطاً))[٣٧].

لفظة (سفَّ) في قوله (عليه السلام): «لكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا»: يُقال: ((أسفَّ الطائر إذا دنا من الأرض في طيرانه))[٣٨]، وقد أشار المرتضى إلى هذا المعنى في قوله: ((سفَّ الطائر بغير ألف وأسفَّ الرجل إلى الأمر إذا دخل فيه بالألف لا غير))[٣٩].

ويريد الإمام (عليه السلام) من ذلك: ((أني لم أخالفهم- حفظاً على بيضة الاسلام- فكان مثلي مثل طائر في سرب طائر الذي يدنو إلى الأرض إذ دنوا منها ويطير ويصعد إذا طاروا وصعدوا))[٤٠].

وفي بعض الأحيان لا يتوسع المرتضى في توضيح معاني المفردات فيترك غموضاً في التحليل، من ذلك مثلاً شرح الألفاظ (نافج) و(نثيل) و(معتلف) في قوله (عليه السلام): «إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ»: إذ يقول: ((فالنفج والنفح بمعنى واحد، والحضن هو الصدر والعضدان وما بينهما، ومنه حضنت الصبي حضناً وحضانة، والحضن أيضاً أصل الحبل.

ومعنى (بين نثيله ومعتلفه) أي بين الموضع الذي يأكل فيه))[٤١].

وعند الرجوع إلى المعاجم العربية القديمة يتضح بأن (النفج) في اللغة يدل على ثؤور الشيء وخروجه وارتفاعه، يُقال: نفج اليربوع إذا ثار من مكانه، وأنفجه صائده إذا استخرجه[٤٢]، ((وفي حديث علي

(عليه السلام): نافِجاً حِضْنَيه، كنى به عن التعاظُم والتكبُّر والخُيَلاء))[٤٣]، و(الحضن): هو ((ما دون الإبْط إلى الكَشح، وقيل: هو الصدر والعَضُدان وما بينهما والحِضْنُ: الجَنْبُ، وهما حِضْنانِ))[٤٤]، ((وحضنا الشيء: جانباه))[٤٥]، ويبدو أن الإمام (عليه السلام) قصد بحضنيه جانبيه، وعليه فإن الكلام يحتمل معنيين: التكبر أو امتلاء البطن، إذ ((يقال للمتكبّر جاء نافجاً حضنيه ولمن امتلأ بطنه من الأكل جاء نافجاً حضنيه، والأنسب في المقام الثّاني تشبيهاً بالبعير المنتفج الجنبين من كثرة الأكل))[٤٦].

و(النثيل): هو الرَّوْث[٤٧]، و(المعتلف): من العلف، وهو أكل الدواب، والموضع: مِعْلف ومعتلف[٤٨].

والمعنى الذي أراده الإمام (عليه السلام): (أي قام بالأمر وكان حركته بين روثه ومعتلفه يعني لم يكن همّه إلّا الأكل والرّجيع كالبهائم التي لا اهتمام لها إلّا بالأكل والرّوث)[٤٩]. يقول ابن أبي الحديد: (وهذا من ممض الذم، وأشد من قول الحطيئة الذي قيل إنه أهجى بيت للعرب:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي)[٥٠].

لفظة (انتكث) في قوله (عليه السلام): «إِلَى أَنِ انْتَكَثَ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ»: ((والانتكاث: الانتقاض، وإذا تزايلت قوى الحبل وتفرقت مرده. قيل: إنه انتكث، ومنه نكث العهد؛ لأنه فتح الرجل العقدة. ومعنى (أجهز عليه عمله) أي قتله فعله، والاجهاز لا يستعمل إلا في إتمام ما بدئ به من الجراح وغيرها))[٥١].

و(الفتل): ((لَيُّ الشيء كَلَيِّك الحبل وكفَتْل الفَتِيلة))[٥٢].

والمعنى: إنه لمّا ضاق عليه المخرج وانجرّ الأمر إلى اجتماع أهل المدينة عليه مع جماعة من أهل مصر انتقض برم حبله، وهو كناية عن انتقاض تدابيره المبرمة ورجوعها إليه بالفساد وتأديتها إلى الهلاك، وأسرع إليه عمله بالقتل[٥٣].

الألفاظ (عرف) و(ينثالون) و(عطفاي) في قوله (عليه السلام): «فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِب، حَتَّى لَقَدْ وُطِىءَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ»: ومن معاني (العرف) في اللغة: عرف الفرس، يُقال: أعرف الفرس: بمعنى طال عرفه، ويُقال للضبع عرفاء

لكثرة شعرها[٥٤]، و(الضبع) جنس من الحيوان مؤنث، ومذكره (ضبعان)[٥٥]، (ينثالون): ((يقال: انْثَال عليه الناسُ من كل وجه أَي انْصَبُّوا))[٥٦].

وفي شرح هذه الألفاظ يقول المرتضى: ((والضبع ذات عرف كثيرة، والعرب تسمي الضبع (عرفاً) لعظم عرفها. ومعنى (ينثالون) أي يتتابعون ويتزاحمون))[٥٧].

و(العطف) في قوله (عليه السلام): (وَشُقَّ عِطْفَايَ): ((وعطفا الرجل: جانباه من لدن رأسه إلى وركيه. وكذلك عطفا كل شيء: جانباه))[٥٨].

لفظة (مَرَقَتْ) في قوله (عليه السلام): «فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ، نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ»: ((بمعنى جارت عن الحد ومن القصد. والعرب تسمي السهم إذا لم يصب الغرض ومضى جانباً فإنه مارق))[٥٩].

لفظتا (الكظة) و(السغب) في قوله (عليه السلام): «وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لاَ يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلاَ سَغَبِ مَظْلُومٍ»: ((فأما (الكظة) فهي البطنة وشدة الامتلاء من الطعام. و(السغب) هو الجوع))[٦٠].

لفظة (عفطة) في قوله (عليه السلام): «وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ»: ((والعرب تقول: عفطت الناقة تعفط عفطاً وعفيطاً وعفطاناً فهي عافطة، وهو نثرها بأنفها كما ينثر الحمار))[٦١].

ومعنى كلامه (عليه السلام): ((أنه لولا ما أوجب اللهُ على الإمام من إنكار المنكر بعد ما أوكلوا إليه أمر الخلافة لكان موقفه منها كما كان من قبل؛ لأن الدنيا بكاملها لا تعدل المخاط الذي تنثره العنز من أنفها عند العطاس))[٦٢].

لفظة (شقشقة) في قوله (عليه السلام): «تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ»: و((الشقشقة لهاة البعير وهي تسمى بذلك لأنها كأنها منشقة ولذا قالوا للخطيب هو شقشقة فإنما يشبهونه بالفحل))[٦٣]، ويقول المرتضى في معنى (الشِقشِقة): ((هي التي يخرجها البعير من فيه عند جرجرته وعصه أو فطمه، وإنما يريد (عليه السلام) أنها سورة التهبت وثارت ثم وقفت))[٦٤].

فلم يكمل الإمام (عليه السلام) الكلام بعدما انقطع بسبب إعطائه كتاباً من أحد الحاضرين وأخذ ينظر فيه؛ لأن الكلام يتبع بعضه بعضاً،

فإذا قطع انحل نظامه[٦٥].

وقد استنتج الشيخ محمد رضا الحكيمي أن كل ألفاظ هذه الخطبة عربية فصيحة وتخلو من الدخيل، وتعود إلى زمن الإمام علي (عليه السلام)، فلا مجال للتشكيك في نسبتها إلى الإمام (عليه السلام)، فقال: ((وبعد هذا فالخطبة عربية صرفة، فالقطب والرحى، والكور والضرع، والإبل والربيع، والنثيل والمعتلف، والحبل والغارب، وعرف الضبع وعفطة العنز، كلمات لا أثر للدخيل فيها، ولا يمكن أن تُقال إلا في ذلك الزمن))[٦٦].

وهو استدلال صحيح، إذ يستند إلى زمن اللغة والألفاظ المستعملة فيها، ودلالاتها المعجمية التي كانت سائدة آنذاك، حيث البيئة العربية ومشاهدها التي ترسم صورة الواقع الذي قيلت فيه هذه الخطبة الشريفة، فلا يبقى بعد ذلك أدنى شكٍ في نسبتها إلى قائلها (عليه السلام).

(ثالثا) المستوى البلاغي:

تُعد الفنون البلاغية من المكملات الجمالية الأساسية في صياغة النص الأدبي، ولاسيما علم البيان الذي ((يرتفع بالنص إلى درجات عليا من التعبير لا تتمكن اللغة العادية من بلوغها، وكان البيان وما يزال يمثل الركيزة الأساسية التي يستند إليها كل تعبير أدبي، ومن خلال فروعه يمتلك العمل الأدبي سمة التأثير وبلوغ درجات التشكل الفني العليا، وأبواب هذا العلم معروفة تبدأ بالتشبيه وأنواعه وأغراضه وتنتهي بالكناية وأنواعها))[٦٧].

وفي الخطبة الشقشقية كثير من الصور البلاغية في التشبيه والاستعارة والكناية وغيرها من الفنون، وهو مما لا يخفى على السيد المرتضى وهو العالم الخبير والأديب الناقد، وإن كان أحياناً لا يذكر تلك الصور بصريح العبارة، وإنما يكتفي بالإشارة إليها، وذكر ما يخدم تحليل النص دون إسهاب. من ذلك مثلاً:

((أما قوله (عليه السلام): (لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ) وإنما أراد لبسها واشتملت عليه كما يشتمل القميص على لابسه))[٦٨].

فلم يفصّل السيد المرتضى القول في الصورة البلاغية الواردة في قول الإمام (عليه السلام): (لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ)، ففي هذه الجملة ((استعارة مكنية تخييلية، مكنّى بها عن أخذه الخلافة بتكلّف لا باستحقاق، مستلزمة لتشبيه

الخلافة وهي معقولة بالقميص. وجه الشبه: اشتراكهما في التسلط عليهما وكونهما ممّا يزين المتخذ وهو عقلي، وتخييلي أنها فرد من أفراد القميص، وإلا لم يصح جعلها مفعولاً للتقمص وهو قرينة لها))[٦٩].

وقوله: تقمَّصها فلان: كنّى بفلان عن أبي بكر[٧٠].

كما أشار المرتضى إلى وجود الصورة البلاغية في قول الإمام (عليه السلام): «وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى»، دون أن يذكر نوع هذه الصورة، فقال: ((فالمراد أنّ أمرها علي يدور وبي يقوم، وأنه لا عوض عني فيها ولا بديل مني لها، كما أن قطب الرحى هو الحديد الموضوعة في وسطها عليها مدار الرحى، ولولاها لما انتظمت حركاتها ولا ظهرت منفعتها))[٧١].

ففي هذه العبارة ثلاث صور تشبيهية، الأولى: تشبيه محلّه بمحل القطب من الرحى، وهو تشبيه للمعقول بالمعقول، ووجه الشبه: أنه (عليه السلام) أعدل الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأثبتهم على جادة الحق، كما أن القطب أعدل المحال وأقومها من الرحى، والثانية: تشبيه نفسه بالقطب، وهو تشبيه للمحسوس بالمحسوس، ووجه الشبه: أنه (عليه السلام) ممن يراعي نظام أمور الخلق ويجمع أحوالهم المتفرقة، كما أن القطب يراعي نظام دوران الرحى، والثالثة: تشبيه الخلافة بالرحى، وهو تشبيه المعقول بالمحسوس، ووجه الشبه: أن الخلافة تحفظ الناس من الخلل في المعاد، والرحى تحفظهم من الخلل في المعاش[٧٢]، ((والغرض من هذه التشبيهات هو تقرير حال المشبه في نفس السامع وتقوية شأنه))[٧٣].

وفي تحليل قوله (عليه السلام): «يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ»، يقول السيد: ((هذا كلام مستأنف غير موصول المعنى بذكر قطب الرحى، المراد به أني عالي المكان بعيد المرتقى؛ لأن السيل لا ينحدر إلا عن الأماكن العالية والمواضع المرتفعة. ثم أكد (عليه السلام) هذا المعنى بقوله: (وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ) ولأنه ليس كل مكان عال من استقرار السيل عليه واقتضى تحدره عنه، يكون مما لا يرقى إليه الطير، فإن هذا وصف يقتضي بلوغ الغاية في العلو والارتفاع))[٧٤].

فالشارح في كل مرة يذكر المقطع الذي ترد فيه الصورة البلاغية، ولم

يفصح باسمها، بل يكتفي بالشرح الذي يقرب المعنى إلى ذهن المتلقي.

وفي جملة (يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ) صورتان استعاريتان؛ الأولى: استعارة مكنية مُكنّى بها عن علو منزلته، فاستدعت تشبيه نفسه بالجبل، والثانية: استعارة تصريحية المراد بها عظم شأنه في العلوم والتدبيرات السياسية، فاستدعت تشبيه علمه بالسيل المنحدر من أعلى الجبل، وكذلك في جملة (ولَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ) صورة استعارية مُكنّى بها عن غاية ارتفاعه وعلوّه[٧٥].

وفي أحيانٍ أخرى يصرّح بالغرض البلاغي الذي يرد في النص، كما في شرحه عبارة: (يصيّرها في ناحيةٍ خشناءَ يجفو مسُّها ويعظمُ كَلمُها): ((إنما هو تعريض لجفاء خلق الرجل التالي للأول، وضيق صدره ونفار طبعه))[٧٦].

إذ صرّح بوجود التعريض. و(ناحيةٍ خشناء): كناية عن خشونة طباع الثاني[٧٧].

وفي شرح قوله (عليه السلام): «فَمُنِيَ النَّاسُ- لَعَمْرُ اللهِّ- بِخَبْط وَشِمَاس»، يقول الشارحَ: ((وإنما تلويحه (عليه السلام)، بل تصريحه بذم الشورى، والأنفة من اقترانه من لا يساويه ولا يضاهيه، فهو كثير التردد في كلامه (عليه السلام)، ثم خبر بأنه فعل ذلك كله مقاربة ومساهلة واستصلاحاً وسماحاً فقال (عليه السلام): «لكن أسففت إذ أسفوا، وطرت إذ طاروا»))[٧٨].

فقد ذكر غرضين بلاغيين في هذا النص: وهما التلويح والتصريح.

وكذلك في شرح (مُجْتَمِعِينَ حَوْلي كَرَبِيضَةِ الْغَنَم): ((و(ربيضة الغنم) الرابضة، وإنما شبههم بالغنم لقلة الفطنة عندهم وبعد القائل منهم، والعرب تصف الغنم بالغباء وقلة الذكاء))[٧٩].

وهنا يصرّح بوجود التشبيه، وهو تشبيه القوم الذين اجتمعوا حول الإمام (عليه السلام) بعد مقتل عثمان باجتماع الغنم في مربضها، ويذكر وجه الشبه، وهو قلة فطنتهم وغبائهم[٨٠].

وفي شرحه (لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا): ((ومعنى (أَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا) أي تركتها وتخليت منها؛ لأن الرجل إذا ألقى زمام الناقة على غاربها فقد بدا له في إمساكها وزمها وخلى بينها وبين اختيارها، ولهذا صارت هذه اللفظة من كنايات الطلاق والفرقة. والغارب: أعلى العنق))[٨١]، فهو تصريح

بوجود صورة كنائية، مُكنّى بها عن الإعراض عن أمر الخلافة، فاستدعت تشبيه الخلافة بالناقة[٨٢]، فلولا خشيته من وقوع الناس في الحيرة والضلالة لأعرض عنها؛ لأنه لا قيمة للدنيا وما فيها عنده (عليه السلام).

(رابعاً) السياق التاريخي:

قد يحتاج محلل النص الأدبي إلى قبليات تاريخية لفهم النص وتفسيره، فيستفيد من ثقافته في استقاء المعلومة وإضاءة النص، والسيد المرتضى ذكر بعض الومضات التاريخية والإشارات العابرة لتبيين ما يخفى على بعض المتلقين في نص الخطبة، ومن ذلك:

في قوله (عليه السلام): «فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ وَمَالَ الآخَرُ لِصِهْرِهِ»: ((وإنما أراد المائل إلى صهره عبد الرحمن بن عوف الزهري، فإنه كان بينه وبين عثمان مصاهرة معروفة، فعقد له الأمر ومال إليه بالمصاهرة، والذي مال إليه لضغنه إنما هو سعد بن أبي وقاص الزهري، فإنه كان منحرفاً عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو أحد من قعد عن بيعته في وقت ولايته))[٨٣].

وفي قوله (عليه السلام): «إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ»: قال الشارح: ((يعني عثمان))[٨٤].

وكذلك في قوله (عليه السلام): «حَتَّى لَقَدْ وُطِيءَ الْحَسَنَانِ»، قال المرتضى: ((فأراد بـ(الحسنين) الحسن والحسين (عليهما السلام)، وغلب في الاسم الكبير على الصغير))[٨٥].

وفي قوله (عليه السلام): «لَوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ» إلى آخر الكلام، يعلّق الشارح بقوله: ((فمعناه أن الفرض تعين ويوجب مع وجود من انتصر به على رفع المنكر ومنع الباطل، واعتذار إلى من لا علم له من القعود في أول الأمر، والنهوض في حرب الجمل وما بعدها، لفقد الأنصار أولاً وحضورهم ثانياً))[٨٦].

فكل من هذه الأحداث التاريخية والأسماء التي ذكرها في الشرح لم تكن معلنة في النص، وإنما هي قبليات ثقافية في تفكير الشارح أفرغها في النص لتبيين مراده وكشف ابهامه.

الخاتمة

يمكن إجمال ما نتج عن هذا البحث بالنقاط الآتية:

(١) إن الشريف المرتضى فضلاً عن كونه عالماً فقيهاً هو أديب وناقد في الوقت نفسه.

(٢) امتلك ناصية اللغة فجاءت مؤلفاته غنية بالبحث اللغوي التطبيقي.

(٣) له تذوق خاص للنصوص الأدبية، مما أضفى على شرحه الوضوح والابتعاد عن التكلف.

(٤) جاء شرحه للخطبة الشقشقية سابقاً لجمع نهج البلاغة، فنال الريادة في ذلك.

(٥) اعتنى بجانب الدلالة المعجمية أكثر من غيرها في مؤلفاته بشكل عام، وفي شرحه لهذه الخطبة بشكل خاص، وركز على تفسير الألفاظ الغريبة دون غيرها.

(٦) أفاد في شرحه المفردات اللغوية من علماء عصره من اللغويين، واستعان بكلام العرب.

(٧) يقل المستوى الصوتي في تحليله لهذه الخطبة، ويخلو من المستويين النحوي والصرفي؛ لأنه استغنى بالمستويين المعجمي والبلاغي في تحليل معاني النص وجمالياته.

(٨) ومن التاريخ استمد شرح بعض العبارت والألفاظ التي تحيل المتلقي إلى خارج النص.

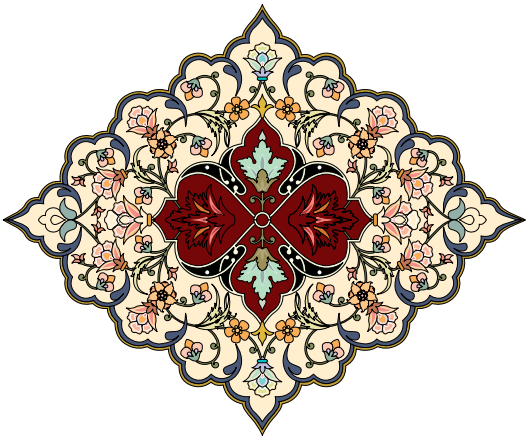

الهوامش

(١) أدب الشريعة الإسلامية، د. محمود البستاني: ١٣٥.

(٢) ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، (حلَّ): ١/ ١٩٤، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د.أحمد مختار عمر، (ح ل ل): ١/ ٥٤٧.

(٣) ينظر: معجم المعاني الجامع، انترنت: www.almaany.com

(٤) مدخل إلى تحليل النص الأدبي، د. عبد القادر أبو شريفة، وحسين لافي قزق: ٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٧.

(٦) ينظر: علم النص دراسة جمالية نقدية، د. مدحت الجيار: ١٥.

(٧) ينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي: ١٣١ – ١٣٢.

(٨) ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د. سعيد حسن بحيري: ٧٦.

(٩) القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني: ٢٩٣.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩٤.

(١١) ينظر: شرح الخطبة الشقشقية، الشيخ محمد رضا الحكيمي: ١٢٤.

(١٢) ينظر: رسائل الشريف المرتضى، الشريف المرتضى: ٢/ ١٠٧.

(١٣) نهج البلاغة، للإمام علي (عليه السلام)، جمع الشريف المرتضى، تح: د. صبحي الصالح: ٤٨.

(١٤) ينظر: الشريف المرتضى، حياته، ثقافته، أدبه ونقده، د. أحمد محمد المعتوق: ٥.

(١٥) ينظر: المصدر نفسه: ٦٦.

(١٦) المصدر نفسه: ٤٦ – ٤٧.

(١٧) شرح الخطبة الشقشقية، الحكيمي: ١٣٨.

(١٨) الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، د. حامد كاظم عباس: ٢٣٤ – ٢٣٥.

(١٩) ينظر: التحليل اللغوي: فكرة عامة، وتطبيق، أ. إبراهيم الشافعي، (مقال) منشور في الانترنت: www.alukah.net /literature_language

(٢٠) الأشداق: جمع شِدق، والشِّدْق: جانب الفم. ينظر: لسان العرب، ابن منظور (شدق): ١٠/ ١٧٢.

(٢١) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١١ – ١١٢.

(٢٢) من علماء العربية الذين عاصرهم الشريف المرتضى، إذ كانت ولادته قبل (٣٣٠ هـ) ووفاته في (٣٩٢ هـ). ومن تلامذته الشريف الرضي أخو الشريف المرتضى. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي: ٢/ ١٣٢.

(٢٣) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني: ٢/ ١٥٧-١٥٨.
(٢٤) ينظر: الشريف المرتضى، حياته، ثقافته، أدبه ونقده: ١٢٠.
(٢٥) الصحاح، الجوهري، (سدل): ٥/ ١٧٢٨.
(٢٦) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، (كشح): ٥/ ١٨٣.
(٢٧) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١٠٨.
(٢٨) لسان العرب، (جدد): ٣/ ١١٠.
(٢٩) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١٠٨.
(٣٠) المصدر نفسه: ٢/ ١٠٨، وينظر: الصحاح، (طخا): ٦/ ٢٤١٢.
(٣١) لسان العرب، (شجا): ١٤/ ٤٢٢-٤٢٣.
(٣١) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١٠٨.
(٣٢) المصدر نفسه: ٢/ ١٠٨، وينظر: لسان العرب، (تا): ١٥/ ٤٤٥.
(٣٣) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١١، وينظر: لسان العرب، (هنا): ١٥/ ٣٦٧.
(٣٤) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١٠٩.
(٣٥) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١٠، وينظر: معجم مقاييس اللغة، (خرم): ٢/ ١٧٣-١٧٤.
(٣٦) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١٠-١١١، وينظر: الصحاح، (خبط): ٣/ ١١٢١، ومعجم مقاييس اللغة، (شمس): ٣/ ٢١٢-٢١٣، و(لون): ٥/ ٢٢٣، ولسان العرب، (عرض): ٧/ ١٧٩.
(٣٧) معجم مقاييس اللغة، (سفَّ): ٣/ ٥٧.
(٣٨) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١١.
(٣٩) توضيح نهج البلاغة، السيد محمد الحسيني الشيرازي: ١/ ٧٤.
(٤٠) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١١.
(٤١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، (نفج): ٥/ ٤٥٧.
(٤٢) لسان العرب، (نفج): ٢/ ٣٨١.
(٤٣) المصدر نفسه، (حضن): ١٣/ ١٢٢.
(٤٤) الصحاح، (حضن): ٥/ ٢١٠١.
(٤٥) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي: ٣/ ٩٦.
(٤٦) ينظر: لسان العرب، (نشل): ١١/ ٦٤٦.
(٤٧) ينظر: الصحاح، (علف): ٤/ ١٤٠٦.
(٤٨) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي: ٣/ ٩٧.
(٤٩) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ١٩٧.
(٥٠) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١٢، وينظر: معجم مقاييس اللغة، (نكث): ٥/ ٤٧٥.
(٥١) لسان العرب، (فتل): ١١/ ٥١٤.
(٥٢) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج

البلاغة، الخوئي: ٣/ ١٠٠.
(٥٤) ينظر: الصحاح، (عرف): ٤/ ١٤٠١.
(٥٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة، (ضبع): ٣/ ٣٨٧.
(٥٦) لسان العرب، (ثول): ١١/ ٩٥.
(٥٧) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١٢.
(٥٨) الصحاح، (عطف): ٤/ ١٤٠٥.
(٥٩) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١٢- ١١٣، وينظر: الصحاح، (مرق): ٤/ ١٥٥٤.
(٦٠) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١٣، وينظر: الصحاح، (كظظ): ٣/ ١١٨٧، و(سغب): ١/ ١٤٧.
(٦١) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١٣، وينظر: الصحاح، (عفط): ٣/ ١١٤٣.
(٦٢) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ١/ ٩٨.
(٦٣) معجم مقاييس اللغة، (شق): ٣/ ١٧٢.
(٦٤) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١٣.
(٦٥) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي: ١/ ١٣١.
(٦٦) شرح الخطبة الشقشقية: ١٣٧.
(٦٧) أسس تحليل النص الأدبي في ضوء المناهج النقدية الحديثة (بحث)، د. ماجد حميد فرج، جامعة الكوفة/ كلية الفقه: ١٨.
(٦٨) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١٠٧.
(٦٩) من بلاغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، عادل حسن الأسدي: ٩٣.
(٧٠) ينظر: المصدر نفسه: ٩٣.
(٧١) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١٠٧.
(٧٢) من بلاغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: ٩٣-٩٤.
(٧٣) المصدر نفسه: ٩٤.
(٧٤) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١٠٧- ١٠٨.
(٧٥) ينظر: من بلاغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: ٩٥.
(٧٦) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١٠.
(٧٧) ينظر: من بلاغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: ١٠٠.
(٧٨) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١١.
(٧٩) المصدر نفسه: ٢/ ١١٢.
(٨٠) ينظر: من بلاغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: ١٠٨.
(٨١) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١٣.
(٨٢) ينظر: من بلاغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: ١١٠-١١١.
(٨٣) رسائل الشريف المرتضى: ٢/ ١١١.
(٨٤) المصدر نفسه: ٢/ ١١١.
(٨٥) المصدر نفسه: ٢/ ١١٢.
(٨٦) المصدر نفسه: ٢/ ١١٣.

مصادر البحث

(١) أدب الشريعة الإسلامية، د. محمود البستاني، ط/ ١، ١٤٢٤ هـ، مؤسسة السبطين (عليهما السلام) العالمية، مطبعة محمد، قم.

(٢) أسس تحليل النص الأدبي في ضوء المناهج النقدية الحديثة (بحث)، د. ماجد حميد فرج، مجلة كلية الفقه- جامعة الكوفة، ع: ١٧، ٢٠١٣م.

(٣) التحليل اللغوي، فكرة عامة، وتطبيق (مقال)، أ. إبراهيم الشافعي:
انترنت:
www.alukah.net /literature_language

(٤) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية (د.ط)، (د.ت).

(٥) الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، د. حامد كاظم عباس، ط/ ١، ٢٠٠٤م، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق- بغداد.

(٦) الشريف المرتضى، حياته، ثقافته، أدبه ونقده، د. أحمد محمد المعتوق، ط/ ١، ٢٠٠٨م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

(٧) الصحاح، الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور العطار، ط/ ٤، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان.

(٨) القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني، ط/ ١، ١٤١٤هـ، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد- إيران.

(٩) المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، ط/ ٢، ١٤١٨ هـ، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، دار الدعوة.

(١٠) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ ٢، ١٩٧٩م، دار الفكر.

(١١) توضيح نهج البلاغة، السيد محمد الحسيني الشيرازي، ط/ ١، ٢٠٠٢م، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

(١٢) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د. سعيد حسن بحيري، ط/ ١، ٢٠٠٥م، مكتبة الآداب، القاهرة.

(١٣) رسائل الشريف المرتضى، الشريف المرتضى، إعداد السيد مهدي الرجائي، ١٤٠٥ هـ، مطبعة الخيام، دار القرآن الكريم، قم.

(١٤) شرح الخطبة الشقشقية، الشيخ محمد رضا الحكيمي، ط/ ١، ١٩٨٢م، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان.

(١٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ ١، ١٩٥٩ م، دار إحياء الكتب العربية.

(١٦) علم النص دراسة جمالية نقدية، د. مدحت الجيار، ط/ ١، ٢٠٠٥ م، القاهرة.

(١٧) في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، ط/ ١، ١٤٢٧ ه، مطبعة ستار، انتشارات كلمة الحق.

(١٨) لسان العرب، ابن منظور، ط/ ١، ١٤٠٥ هـ، دار إحياء التراث العربي.

(١٩) مدخل إلى تحليل النص الأدبي، د. عبد القادر أبو شريفة، وحسين لافي قزق، ط/ ٤،

٢٠٠٨م، دار الفكر، الأردن- عمّان.
(٢٠) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، ط/ ١، ٢٠٠٨م، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر- العاصمة.
(٢١) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، ط/ ١، ٢٠٠٨ م، عالم الكتب، القاهرة.
(٢٢) معجم المعاني الجامع، انترنت:
www.almaany.com
(٢٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، ١٤٠٤هـ، مكتبة الإعلام الإسلامي.
(٢٤) من بلاغة الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة وشرح لأهم الصور البلاغية، عادل حسن الأسدي، ط/ ١، ٢٠٠٦ م، مطبعة رسول، مؤسسة المحبين، إيران- قم.
(٢٥) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الهاشمي الخوئي، تح: السيد إبراهيم الميانجي، ط/ ٤، (د.ت)، المطبعة الإسلامية في طهران.
(٢٦) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين الراوندي، تح: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، (د.ط)، ١٤٠٦ ه، مطبعة الخيام، مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم.
(٢٧) نهج البلاغة، للإمام علي (عليه السلام)، جمع الشريف المرتضى، تح: د. صبحي الصالح، ط/ ١، ١٩٦٧م، بيروت- لبنان.